

وخمسة فارغا لـ يستطع أحد مف أنبائو السبعة عشر أو إخوانو أف يملأه، بنا ترة صلاح الديف الأيوبي فارغا سياسيا كيبار بموتو. تقسم أقالم الدولة: اتسعت شقة الخلافة بيف أبناء صلاح الديف الأيوبي عمى السمطة وتدخلة بينيد أصحاب الأري والمشورة لإصلاح ذات البيف واستقر الأمر في البداية عمى تقسيم الأقاليم عمى النحو التالي: 5- حصص المممة الأفضلة ابف صلاح الديف عمى دمشق والقوس وبعمبة وصرخد وتبنيف وبصرى حتى حدود مصر. 2- حصص الظاهر غياث غازي بف صلاح الديف عمى حمب وجميع أعماليا وشماليا. 3- حصص المممة العادة سيية الديف أبو بكر شقيا صلاح الديف عمى الكرية والجزيرة الفارتية (أي حارف والربا وسميساط وقمعة جعبر 4- حصص سيية الإسلا طغتكيف شقيا صلاح الديف عمى اليمف وجزيرة العرب. 6- استمر المممة المنصور الأوومحمد بف تقي الديف عمر في حك حماة. 7- تولى المممة الظاهر خضر بف صلاح الديف بصرى مف قبلة أخيو المممة الأفضلة. وكاف ثمة بعض البمداف والحصوف بأيدي جماعة مف أمارء الدولة فاحتفظ كة بولاية، واستمر أخوه عماد الديف زنكي الثاني بحك سنجار، وقطب الديف سقماف الثاني الأرتقي في حك حصف كيفا وأمد، النزاع بن خلفاء صلاح الدين: كاف صلاح الديف قد قد ابنو المممة الأفضلة لتولي السمطنة مف بعده، وبعود وفاة صلاح الدين فطمب المممة الأفضلة مفعضا الأمارء والمماليك أف يجددوا مبايعتو ويحمفوا لو يميمف الولاء والطاعة، وشبالناز عبيفا لأخويف الأفضلة والعزير، ومف بذه الإجراءات : فيربوا إلى القارة مستنجديف بالعزير عثمانف الذي رفعب وأعزب، كما زيف للأفضلة التناز عف بيت المقدس لأخيو العزير عثمانف، فتغير لذللة المممة العزير عثمانف، وبدأت العلاقة تسوء بيف ويبدو أف الأفضلة ساءت سيرتو، وضعفت أرتو ولايصمحا فبتولى السمطنة بعد والده إذ أقبل عمى المعب وسماع الأغاني وتظار بمذاتو. وعندما عمال المممة الأفضلة بذللة بمارسمة أخيو العزير يستعطفو فمنعو وزيره ضياء الديف ابف الأثير وأغاره بمحاربة أخيو، فمما الأفضلة للأريوزير هو أزدتالو حشدة بيف لأخويف. عمييا، فاستنجد المممة الأفضلة بعمو المممة العادة، والواضح أف بذا الأخير لـ يكف ارضيا عف وضعو، ولاسيما وأف نصيبو مف الإرث الصلاحي لـ يتناسب مع أمية الدور الذي أداه في خدمة الدولة الأيوبية، كما لـ يشا أف يتعجل الأحداث عقب وفاة أخيو صلاح الديف، وبو اليد الذي وضعو نصب عينيو، لذللة أنجو بتمية إلى تحقيق بذا اليد، واخذ يتصر بآناة ريثما تتضح الأمور، وفعلا أتحت لو الفرصة باستغاثة الأفضلة عمي، فاستجاب لنداء الاستغاثة، صاحب بعمبة، وكمد ساندوا الأفضلة عمي، عمما منب أف العزير عثمانف إف ممكيا أخذ بلاد. انطلاقا مف مصر، واجتمع بعمو العادة في صحراء المزة غربي دمشق في 24 شعبان عا. 5594، وقد نصحو عمو بالعودة إلى مصر قائلو: لا تخرب البيت وتدخلة الآفة، والعدو وارهنا مف كة جانب وقد أخذوا جبمة، 63 وحينما اشتد مرض العزير احتاج إلى المصالحة، وكاف أكبر المحرضيف الأمير عز الديف أسامة - صاحب عجموف وكوكب - الذي فار الأفضلة وانضلم عزير و يومفأ جلاء الأمارء الصلاحية، ففرح بوصول إليو وأكرمو. قصده. عمى الأرض، فغادر قمعة جعبر إلى دمشق ودخما قبلة عودة الأفضلة عمي مف حمب، واتف مع عمي نبذ طاعتو والدخول في طاعة حكا بلاد الشا، وكاتب المممة العزير سار يخوفو مفا أسدية ويغريو بإبعاد، وكاتب أسدية ينفر مف المممة العزير ويخوف منو واستمال إليو، 64 فكانوا إذا لقوه عرفوا في وجيو التنكر، فعزموا عمي مفارقتو. فأحيانا ينض لمعزير ضد الأفضلة وأحيانا ينض للأفضلة ضد العزير بعد ما تآمر معا الأمارء داخما، - يمممة العادة دمشق وأواسط الشا. - يتولى المممة العزير السمطنة ويذكر اسمو في الخطبة وينقش عمى السكة وتبقى لو مصر وبيت المقدس. سم المممة العزير دمشق إلى عمو المممة العادة، وسافر بالعساكر إلى الديار المصرية، وخرج المممة العادة لوداع المممة العزير ولما عاد مف وداعو أمر فقري منشوره بالجامع بتفويض دمشق وأعماليا إليو وكانت مدة مقلا المممة العزير بدمشق بعد أخذنا أربعة عشر يوما، وبقي قرب صور، 65 مف العسكر ومعبد الحجاروف والنقابوف، وأمر ببيد ربح بيروت ففعموا وحصف عز الديف أسامة القمعة وتر فييا جماعة مف الأجناد ليحفظوا، لكني خافوا مف الفرنج وانبزموا وبقيت القمعة خالية ليس فييا مف يدافع ووصد إليو سنقر الكبير - صاحب القدس - وميموف القصري. صاحب نابمس. ث قصد المممة العادة بالعساكر يافا، فدخما عنوة بالسيية وقتة أعياف الفرنج بيا، وكانت بيد حسا. الديف بشارة، فنال لوبا وحاصروبا، ونز المممة العادة قبالتيف، وبعث إلى المممة العزير يحثو عمي الخروج إليو بنفسو، فتقد المممة العزير بعسكره حتى وصد إلى تبنيف واجتمع بعمو المممة العادة، فمما ح المممة العادة الفرنج عف تبنيف عانديف إلى صور وسار في أثر المممة العزير والمممة العادة بالعساكر يمتقطوف مف ظفروا بو منب، وغنموا الكثير مف عسكر، وأمر المممة العزير بنقل الغلاة إلى تبنيف واصلاح ما تيد بالمنجنيفات مف أسواربا، وجعل إليو أمر الحرب والسمح وعاد إلى مصر فيجمع عمي، فارسموه في طمب 66 الصمخ فأجابيد وعقدت بينيد بنة مدتيا ثلاث سنيف، ورجع المممة العادة إلى دمشق، عفا لأموال،

وقدم بمفكر موأولتتب<sup>٤</sup>لوخازنة ولافرسوبيوت أمارئوتفيضبا الخيارتوكافشجاعامقداما، وكانتمدة حكمولمصر أقد<sup>٤</sup> مف ست سنيف. ومف المعروف<sup>٤</sup> أف العزيز عثمانف ولد بالقاهرة، فيو يمث<sup>٤</sup> أو<sup>٤</sup> حاك مف البيت الأيوبي يولد بمصر ويتولى حكما ومع أف مصر بقيت في عيد العزيز عثمانف، كما كانت عمى عيد أبيو صلاح الديف الأيوبي، وازد عدد في القاهرة في ك<sup>٤</sup> يو- عف مائتي نفس . ويبدولنا أفماحدثمفناز عفياالبيتالأيوبيببفالعزيرعثمانف واخيو الأفض<sup>٤</sup> عمى، ومكائد ووسائل عميما المم<sup>٤</sup> العاد<sup>٤</sup> التي ازدت مف شقة الخلا<sup>٤</sup> بينيما لصالحو الذاتي، ول تساعده عمى تفادي هذه الكارثة التي أثرت تأثي ار كبي ار في حياة المصريف اجتماعيا واقتصاديا. 67 تحالف الأخوين الأفضل والظاهر ضد العادل: بيدو أف المم<sup>٤</sup> الظار غازي صاحب حطب كاف قد ادر<sup>٤</sup> أدا<sup>٤</sup> عمو المم<sup>٤</sup> العاد<sup>٤</sup> في إبقاء الخلا<sup>٤</sup> بيف اخيو المم<sup>٤</sup> الأفض<sup>٤</sup> والمم<sup>٤</sup> العزيز، فقرر معاداة عمو ومحاولة التخصص منو، واغتد الأفض<sup>٤</sup> بعد عميما عف دمش<sup>٤</sup> وانتغالو في محاصرة مارديف، بعد ما استتاب بمصر الأمير سي<sup>٤</sup> الديف أركش وحاصر دمش<sup>٤</sup> وسرعاف ما وصمت عساكر حطب لدع جند مصر، فضيقوا الخنا<sup>٤</sup> عمى المدينة، ولكن ل يحاولوا اقتحاميا، تر<sup>٤</sup> ابنو المم<sup>٤</sup> الكام<sup>٤</sup> عمى حصار مارديف، وأخذ يبذر بذور الش<sup>٤</sup> والخو<sup>٤</sup> بيف الأخويف، فارس<sup>٤</sup> إلى المم<sup>٤</sup> الظار غازي وقا<sup>٤</sup> لو: أنا أسم إلي<sup>٤</sup> دمش<sup>٤</sup> وانت السمطاف، فطمع الظار واختم<sup>٤</sup> الأخواف ورح<sup>٤</sup> المم<sup>٤</sup> الأفض<sup>٤</sup> إلى مصر. حممو. 68 استقلال الملك العادل بالسلطنة الأوبة: أصبح المم<sup>٤</sup> العاد<sup>٤</sup> أتابكا لاف المم<sup>٤</sup> العزيز، وخاطب في اليميف لو والميثا<sup>٤</sup> وألزم بالوفاء ، بحجة رغبتو في حفظ ثغور الإسلا وتبوير الممال<sup>٤</sup> بمصر والشا. وبذا أمر لا يناط بالصياف او يحاط بغير ذي القدرة والسمطاف، ولما استقر المم<sup>٤</sup> بمصر لمم<sup>٤</sup> العاد<sup>٤</sup> استدعى ابنو المم<sup>٤</sup> الكام<sup>٤</sup> ناصر الديف محمد مف الشر<sup>٤</sup> وجعمو نائبا عنو بالديار المصرية، بعده. الحملة الصلبة الخامسة ف عهد الملك العادل: شيدتالسااحة السياسيةفيأوروبانقساماتحادةنتيجةالصراعات الداخميةببفالباويةوالإمبارطوريةفيالربيعفالثانيوالثالثمفالقرف الثالثعشرالميلادي، وبوصاركانتلوانعكاساتعمالحمالات الصميبية فاستعادت أنذا<sup>٤</sup> المبادرة، وبدلا مف توجيو الحملات إلى بلاد الشا. مباشرة، برزت مصر في حساب الغربيف وبدا الاتجاه العا. في المجتمع الغربي يتحو<sup>٤</sup> إلى مصر كنقطة انطلا<sup>٤</sup> في الطري<sup>٤</sup> إلى بيت المقدس، وغدت انتما. دعاة الحرب الصميبية وزعمائيا والمتحمسيف ليا، بالإضافة إلى مواردنا الإقتصادية والبشرية الضخمة التي تزود الجيوش الإسلامية بمعيف لا ينضب. 69 فإف الحممة الخامسة حدد ليا أف تغزو مصر بعد أف اقتنع القادة الصميبوف بضرورة ضرب مصر لتأميف ممتلكات في بلاد الشا. واستعادة السيطرة عمى بيت المقدس، وكاف المم<sup>٤</sup> العاد<sup>٤</sup> قد تمكف مف السيطرة عمى مقاليد الأمور وصار الشخصية البارزة في البيت الأيوبي واتبع سياسة سمية تجاه الصميبيف بصفة عامة، وعندما قارسا فإلإستباريةفيعا.5267بشفالغاراتالحربية عمى مدينة حمص وكذلك<sup>٤</sup> استيلاء الصميبيف في قبرص في نفس العا. عمى عدد مف السفف المصرية اكتفى العاد<sup>٤</sup> الأيوبي بتوجيو الإنذار لمم<sup>٤</sup> الصميبى برد الأسرى المسميف. وفيالحقيقةابتعدالعاد<sup>٤</sup>الأيوبيبتم<sup>٤</sup>السياسةكثيراعفسياسة السمطاف الناصر صلاح الديف الأيوبي، ويبدو أنو كاف يخشى أف يؤدي تعامو العسكري مع الصميبيف إلى قدو. حممة صميبية بنفس الثق<sup>٤</sup> العسكري والسياسي لمحمة الصميبية الثالثة، عمى أية حا<sup>٤</sup> وصمت طلائع الحممة الصميبية الخامسة بقيادة المم<sup>٤</sup> المجري اندريو الثاني إلى سبالاتو في دالماشيا في شير جمادى الآخرة عا.(654هـ/5257ولحد<sup>٤</sup>بوليوبولدالسادسو<sup>٤</sup>النمساوأبحار وتجمعلديالصميبيفأكبرجيشعروفو الشر<sup>٤</sup> الإسلامي منذ الحممة الصميبية الثالثة . وعقد مجمع لمحرب في عكا في أواخر شير رجب لتحديد خطة التحر<sup>٤</sup>، بوصفيا الطري<sup>٤</sup> الوحيدة ليزيمة المسميف في بلاد الشا. واستعادة بيت المقدس، ولكف المجتمعيف أرجأوا تنفيذ هذه الخطة بسبب قمة عدد القوات، ولعد توفر السفف اللازمة لنق<sup>٤</sup> الجنودبحارالدمياط، ث قرروا مهاجمة مدينة دمش<sup>٤</sup>، وعندما عم العاد<sup>٤</sup> بتحريك، وكاف في مصر، خرج منيا إلى فمسطيف، فوصد<sup>٤</sup> إلى المد والرممة، وتابع طريقو إلى نابمس آملا في أف يقطع الطري<sup>٤</sup> عمي عند عيف جالوت، وعندما عم الصميبوف بقدمو غيروا خطي وأتجيو نحوه ليقتصدوه، وساروا إلى مدينة بيساف، وصعدإلتم<sup>٤</sup> المدينةيارقبتقدم، دوف طائ<sup>٤</sup>. 71 وعندما وصد<sup>٤</sup> الصميبوف إلى بيساف نيبوا واستولوا عمى ك<sup>٤</sup> ما وقعت عميو أيدي، وتوغموا في داخ<sup>٤</sup> الأ أرضي الإسلامية، وانتشرت جنود في القرى فوصمت إلى خسيف ونوى في حوارف، وأطار<sup>٤</sup> السواد، توجيوإللمدينةصيدا، فأغارواعميا، كما ناجموا شقي<sup>٤</sup> أرنوف ونيبوا، والواضح أف الصميبيف ل يكف ليد<sup>٤</sup> محدد وساروا عمى غير بدى، ولا ش<sup>٤</sup> بأف هذه الغارات المحدودة أزجت المسميف، وتسببت في ارتفاع الأسعار، وخا<sup>٤</sup> الناس عمى أنفس وغموا عمى مغادرة البلاد واجتمعوا في المساجد لمداء، ول يطمئف أب<sup>٤</sup> دمش<sup>٤</sup> إلا بعد أف جاء المجاند صاحب حمص إلى مدينتي لنجدة عمو العاد<sup>٤</sup> الذي خرج لاستقبالو وكاف يوما مشيودا، وأخذ يستعد لمتصدي لمصميبيف بعد أف جاءتو الإمدادات، فجز ابنو المعظم عيسى صاحب دمش<sup>٤</sup> بقوة مف الجند، وأرسمو إلى نابمس لمنع

الصمبيبييف مف الوصول<sup>٤</sup> إلى بيت المقدس. 72 ويبدو أفذا الأريل يحظ بموافقة الجميع فقد رفض<sup>٥</sup> مفأندريو الثاني وبيوالتعاو فمعو، وساندهوبويموندارابع، لذا<sup>٦</sup> أعدم فجانوبوحممة لتدميربا، مما أثر سمبا عمى قدرتو القتالية. ونفذت ضدا بجوميف جاءت نتائجها فاشمة، قرر ديونيس، فتعرض لمصاعب جممة بسبب وعورة المنطقة وحارب<sup>٧</sup> أف البقاع قواتو، فقتموا الكثير منيد وأسرؤا جماعة أخريف، وكاف ديونيس مف ببفالقتمولاذمفجانميناالفارر، ضد المسمميف بعد ذل<sup>٨</sup> حتى قدو. الحممة الكبرى التي باجمت دمياط. أما ليوبولد السادس دو<sup>٩</sup> النمسا، إنجاز يذكر فيما يتعم<sup>١٠</sup> بالموق<sup>١١</sup> في بلاد الشا. سوى تدمير قمعة الطور، وقدميما العاد<sup>١٢</sup> بنفسونظار أنباسيمة المتناو<sup>١٣</sup>، الحممة الصمبيبية الخامسة. ظل<sup>١٤</sup> العاد<sup>١٥</sup>، وشاركو في نده الآما<sup>١٦</sup> ابنو الكام<sup>١٧</sup> محمد، نائبو في مصر. وفي الوقت الذي كاف فيو القادة الصمبييوف في عكا يخططو لغزو مصر، بدأت القوات الصمبيبية القادمة مف أوروبا تتوافد عمى عكا ابتداء مف 27 محر- (5258/٦655) وتجمع في نده المدينة عدد كبير مف الصمبيبييف القادميف مف أوروبا، وعقد المم<sup>١٨</sup> حنا بريف مجمسا حربيا لترتيب الخطة العسكرية، كتحديد خط سير الحممة، وتحديد ميا- ك<sup>١٩</sup> مجموعة مف الجند، 74 الحممة، وعد التعرض لأخطار الطري<sup>٢٠</sup> البري، كما أف نده القوات تص<sup>٢١</sup> إلى ندفياويفيحالمةفالأرحمةمكنيا مالفالقبابعممياتاالعسكرية بنشاط، والجدير بالذكر أف نده<sup>٢٢</sup> الحممة مدينة دمياط، إحدى المدف الثلاثة الرئيسية في مصر، بالإضافة إلى أنبا أفضل<sup>٢٣</sup> المواقع لميجو- عمى مصر كميما، فيي أقرب الموانئ المصرية إلى الصمبيبييف في بلاد الشا، كما أف فرع دمياط يمت<sup>٢٤</sup> أيضا طريقا سيلا لمواصلات التي تربط بقواعد في بلاد الشا. مف جية وتمكنيف مف غزو الدلتا كميما قب<sup>٢٥</sup> التقد إلى القارة للاستيلاء عمييا . وفيما يتعم<sup>٢٦</sup> بقضية تمويف الحممة، وفي نذا الوقت الذي كانت تنظ فيو الترتيبات، اسق<sup>٢٧</sup> ألبانو، فنز<sup>٢٨</sup> أفارده إلى البر، ونصبوا معسكر عمى الضفة الغربية لمني<sup>٢٩</sup> المواجية لمدينة، 75 وتقع دمياط عمى مسافة ميميف مف مصب نير الني<sup>٣٠</sup>، كما كانت تمتد بعرضالني<sup>٣١</sup>، نذا بالإضافة إلى برج السمسمة، وبو بمثابة حصف وسط مجرى الني<sup>٣٢</sup> لحماية المدينة، وقد حا<sup>٣٣</sup> دوف تقدم، وقد فوجي سكاف دمياط بتواجد الصمبيبييف أمامي يتحفزوف لميجو- عمييا فاستعدوا لمدفاع عف مدينتي وقاموا بتخريف المؤف، وأرسموا في الوقت نفسو، إلى الكام<sup>٣٤</sup> محمد الذي تحر<sup>٣٥</sup> عمى أرس جيشو، واتخذ طريقو صوب المدينة، كما طمب مف والي الغربية أف يجمع سائر العرباف، وينض إلى قواتو، الوضع في بلاد الشام: عندما عم العاد<sup>٣٦</sup> بنزو<sup>٣٧</sup> الصمبيبييف في دمياط، وكاف بمرج الصفر، انتق<sup>٣٨</sup> إلى عالقيف بظار دمش<sup>٣٩</sup>، وطمب مف ابنو المعظ عيسي أف يغير عمى معاق<sup>٤٠</sup> الصمبيبييف في بلاد الشا. ليشغميد عف دمياط، 76 نفذالمعظ عيسأمروالدهبعدتردد، وأرس<sup>٤١</sup> مففي قمعة الطور إلى بيت المقدس، والكر<sup>٤٢</sup>، وطمب العاد<sup>٤٣</sup> مف ابنو الأشر<sup>٤٤</sup> موسى أف يدخ<sup>٤٥</sup> الأرضي بدأة العملات العسكرية والصراع على برج السلسلة: ل تنقطع المناوشات ببف الطرفيف منذ أف وطأت أقدال الصمبيبييف البر في دمياط، وأدر<sup>٤٦</sup> الفرنج فداحة الخطأ الذي ارتكبه حينما نصبوا معسكر عمى الضفة الغربية لمني<sup>٤٧</sup> بدلا مف الضفة الشرقية، مما أعطى المسمميف فرصة كافية للاستعداد والدفاع، وقد تسبب نذا الجيو- الكبير في إثارة الرعب في نفوس السكاف، ولكن صمدوا لمدفاع عف مدينتي، عندئذ أدر<sup>٤٨</sup> الصمبيبيوف أنيد عاجزوف عف الوصول<sup>٤٩</sup> إلى المدينة، بينما ظمت قذائ<sup>٥٠</sup> المنجني<sup>٥١</sup> تنيا<sup>٥٢</sup> عمييا لإلحا<sup>٥٣</sup> الضرر بيا، دو<sup>٥٤</sup> النمسا، ومعو بعض الفرساف مف الاسبتارية، بمحاولة لتسم<sup>٥٥</sup> أسوار المدينة، لكف نده المحاولة فشمت لعد تحم<sup>٥٦</sup> السلال ثق<sup>٥٧</sup> القوات الصمبيبية المياجمة، كما أف النار الإغريقية التي استعمييا ول ييأس الصمبيبيوف نتيجة فشميد في اقتحا- البرج والمدينة وأعدوا في ربيع الآخر خطة أخرى لاقتحاميا، فجزوا أربع سفف زودوبا ببعض الأبارجالصغيرة وثبتوا فو<sup>٥٨</sup> سلالمتحركة لتضي<sup>٥٩</sup> لنا الأبارجمزيديا مف الارتفاع، وبذ<sup>٦٠</sup> المياجمو فمجيودا كبيرة كي يكفموا النجاح ليذا الجيو-، إلا أف الخيبة كانت إلى جانبي في نده المحاولة أيضا بفع<sup>٦١</sup> استماتة المدافعيف وكانت خسارة الصمبيبييف كبيرة حيث غر<sup>٦٢</sup> عدد كبير منيد نتيجة تحط السلاسا<sup>٦٣</sup>، ووضعوا فوقو سمما متحركا حتى أضحي كالقمعة العائمة، بكذا أمكف مياجمة برج السمسمة ب ار وبحر ونفذ الجيو- في 29 جمادى الأولى، ونجح الصمبيبيوف في الرسو في الجانب الشمالي الشرقي منو وأسندوا السم المتحر<sup>٦٤</sup> إلى جداره. ولا ش<sup>٦٥</sup> بأف سقوط برج السمسمة في قبضة الصمبيبييف، وقد عد ذل<sup>٦٦</sup> البرج قف<sup>٦٧</sup> الديار المصرية. يخبره بسقوط برجال السمسمة ويستنجدبو، لكف نذا الأخير ل يتحم<sup>٦٨</sup> الصدمة، ومرض لساعتو مرض الموت، ث توفي يوالخميس 7 جمادى الآخرة (5258/٦655)،

فقدأخفخبر الوفاة واستقرأولاده فيأقطاعاتي التي أعطانا لي أبود، عظمت بيبتو في القموب، وكثر أولاده، وأنجب ستة عشر ولدانكارسوياالبنات، ومفالعجائبا نول يحضروفا توأحد مف أولاده وخم<sup>٦٩</sup> سبعمئة أل<sup>٧٠</sup> دينار . عمى أية حا<sup>٧١</sup> فإف وفاة السمطاف العاد<sup>٧٢</sup> محمد ل تغير شيئا في التوازف العسكري ببف المسمميف والصمبيبييف، كما أنبا ل تمس أسس النظا- السياسي والإداري في الدولة الأيوبية، إذ خمفو ابنو السمطاف الكام<sup>٧٣</sup>، ولي عيده في حك مصر، كما خمفو في حك الشا- ابنو المم<sup>٧٤</sup> المعظ

عيسى. وورث عنو أيضا الميادنة الصمبيبيف والاكتفاء برد الفعاع في التعمام معيد. ورؤيتو لأبيو وبو بيذا قصارى جيده لكى يتجنب الحرب ضد الصمبيبيف مف ناحية ثانية، واشتاركو فيحرو بأبيو ضد الأيوبيي فالآخر يفمناحية ثالثة، قد تركت بصماتيا عمى سياسة الكام محمد وفكره السياسي والعسكري عمى نحو ما سنرى في الصفحات التالية. أسرع السمطاف الكام إلى منزلة العادلية بالقرب مف دمياط، فنصب المم الكام عوضا مف السلاسا جسو ار عظيما لمنع بؤلاء الفرنج مف عبور النيا، فقات عميو الفرنج قتالا شديدا حتى 80 قطعوه، وأجروا فيو الماء إلي البحر فجرث سفنيد فيو عمى أرض دمياط تجاه المنزلة التي فيها الكام ليقاتموه مف بنا، وكوف نير النيا يحجز بينيد وبيف الفرنج. كاف ندا بو الموقا العسكري كما وصفنو المصادر التاريخية العربية. الأمراض التي تنتشر عادة في المعسكرات . كانت المقاومة مستمرة، خوفا مف الخطا، وحدا الشتاء فغرا مخيد المسمميف، وجاءتو فر عسكريا مف حماة ومف حمب، وانتيتالمؤامرة بالفشا، واستردالكام عرشولكنو بكذا، دبت الفرقة في معسكر المسمميف ورب السمطاف بحياتو إلى شرا مدينة المنصورة التي ل تكف قد بنيت بعد وبى أشمو. طنح تحت جناح الميا، وعندما جاء أخوه المعظ عيسى حاك الشا بجيشو، ومنعوا وصو الأقوات إليي. والسمطاف ينتظر مزيدا مف القوات ويسيطر عميو التردد، والصمبيبيف منقسميف عمى أنفسي، وربما نصحو بأف طريقا المفاوضات أكثر أمنا مف طريقا الجياد. كاف عرض السمطاف الكام غاية في الكر. ولكف الفرنج رفضوه، وكاف المم حنا بريف والصمبيبيف الفرنسيوف والصمبيبيف المستوطنون في فمسطيف يريدون قبوا العرض السمطاني، وذكروا بقية المعسكر الصمبيبي بأف هذه الحممة كاف بدفيا الأساسى تسييدا الإستيلاء عمى بيت المقدس، ولكف بلاجيوس الذي استغوا وضعو بصفتو المندوب البابويافيا الحممة رفضاقتار حال المم الصمبيبي، في كاف بلاجيوس قد غير الأندا الصمبيبية مف تمقاء نفسو وقرر غزو المنطقة العربية بأسريا ؛ لقد أضع غرور ندا القسيس عمى الفرنج فرصة الاستجابة لعروض السمطاف المتخاد، المتوسط والبحر الأحمر، وتحكميا في أد طرا التجارة الهندية، وظف بؤلاء التجار أف بإمكانيد أف يحولوا مصر إلى قاعدة تجارية تكف ليد السيادة عمى تجارة العالم. عاد الصارعا لسكر بيبف الجانبي فمرة أخرى. وفيبو 5 نوفمبر 1350. اقتد الصمبيبيف مدينة دمياط واركنوا فيها واحدة مف مذابحي الشيرة. فقد نزا السمطاف بالمكاف الذي بنيت بو مدينة المنصورة في مواجهة طمخا عمى حيف كاف الفرنج يحاولون صبغ دمياط بالصبغة الصمبيبية، وحصف الفرنج أسوار دمياط، وحولوا جامعا إلى كنيسة. وبثواساريا فيا لقرية تمونو فأسرو فففظا الخطبوا شتد البلاء . استقر الصمبيبيف في دمياط لكف الخلافات تشبت بينيد حيث مضى عا. ونصدا العا. ود غير قادرين عمى القيا. بأية عمميات عسكرية حاسمة. وفي المقابا أعمف بلاجيوس أف المدينة ممم لكا المسيحييف الذيف تمثي البابوية . 84 الشا. كما كاف قريبا مف أماكن الإمدادات الغذائية . كما شرع السمطاف في بناء الدور، والفنادا، والحمامات، والأسوا، وأضححت مدينة المنصورة مدينة عسكرية وقاعدة لقوات المصريف بقيادة السمطاف الكام. وأخذ جواسيس السمطاف يخرجون مف هذه القاعدة لاستطلاع أحوال الجيش الصمبيبي، وحاوا الفرنج الزح جنوبا وساروا نحو معسكر المصريف بالمنصورة في جيش كبير يقدره المؤرخون المسمومون بمائتي ألفا رجدا، واربط الأسطو المصري تجاه المنصورة بقوة قواميا مائة سفينة، واجتمع الناس مف أدا القابرة وسائر النواحي، وقطع الأسطو المصري طريقا الإمدادات عمى الفرنج . أما معسكر الصمبيبيف فقد عانى مف السخط وعد الرضى، وعمى الرغ مف احتجاجات بلاجيوس وتديداتو رحا كثير مف الصمبيبيف بحجة الفقر أو ولكف عددا مف الصمبيبيف الجدد حا محميد . واستولى الأسطو المصري عمى سبع سفن صمبيبية كبيرة، كما أسروا ألفا ومائتي رجدا منيد، وبعثوا يسألون في الصمخ، وعاود المم حنا بريف الإنضمام. إلى الصمبيبيف مرة أخرى بناء عمى الأوامر الصارمة الصادرة إليو مف البابا بونوريوس الثالث ومعو عدد كبير مف القوات، وبدأ عدد كبير مف الصمبيبيف في الإنسحاب وصار موقفي حرجا لمغاية بعد أف أسر المسمومون بعض سفنيد وقطعوا عنيد الإمدادات. ولا بأمر النيا، وقامت القوات المصرية باحكا الحصار عمييد. وفي 86 اليو التالي عقدت بدنة مدتيا ثمانيا سنوات، وبكذا اضطر الصمبيبيف عمى التخمى عفا أحلاميد في الاستيلاء عمى مصر. واختم قادة معسكر المسمميف حوا طمب الفرنج لمصمخ، ولكف السمطاف الكام كاف خائفا مف الحرب . وتبادا الجانبان الرائف لضماف تنفيذ الاتفا، وتسم المسمومون المدينة يو. الأربعاء 59 رجب 658هـ / سبتمبر 1355، وعادت المدينة الأسيرة إلى أصحابيا بعد سنة وعشرة أشير وأربعة وعشريف يوما. بكذا انتيت الحممة الصمبيبية الخامسة بانتصار مصرى حاسا. وسعي إلى "السلا" مع الفرنج،